جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

المدينة والفقر والاجرام

الدكتور : رضا بو كراع

الرياض

1406 هـ - 1986 م

البحث الثاني

المدينة والفقر والاجرام★

لقد اهتم الباحثون منذ امد طويل بالعلاقة بين عملية التحضير urbanisation وتفاقم الاجرام ويمكن ان نميز في هذا المجال بين اتجاهين اساسيين: اتجاه ذي صبغة ميكروسيولوجية اي انه يتناول العلاقة في مستوى البنى المجتمعية الشاملة واتجاه ايكولوجي ecologique يتناول المحيط المدني في متعدد ابعاده الاجتماعية والاقتصادية والثقافية (Healy).

ويمثل الاتجاه الأول Herman J. Venter[1] الذي يربط بين المدينة والاجرام والتصنيع ويرى ان المدينة مولّدة للاجرام لانها تعتمد في نموها على عملية التصنيع التي تدك الهياكل الاجتماعية والنفسية، موفرة بذلك ظروف ظهور الجريمة. ويعتمد في ذلك Venter على احصائيات تبرز كميا ارتباطا وثيقا بين معدل استهلاك الطاقة كمؤشر صناعي وبين معدل النمو العمراني ومعدل الجريمة وتبنى هذه الارتباطات الاحصائية انطلاقا من بلدان اوروبا الصناعية ولا يمكن علميا ان يتحول هذا الارتباط الى قانون يطبق على جميع البلدان المصنعة اذ انه سيصطدم باستثناءات في اوروبا الشمالية كالدنمارك والسويد ولا يمكن علميا ان يتحول الارتباط الاحصائي الى علاقة سببية بين النمو العمراني والصناعي وارتفاع معدل الاجرام لان الارتباط يخفي متغيرات أخرى لابد من اعتبارها، كطبيعة عملية

★ اعداد : **د. رضا بو كراع** مدير قسم علم الاجتماع بكلية الآداب – الجامعة التونسية – تونس.

١ – Urbanisation and industrialization as criminogic factors in the Republic of South Africa'' in Revue Internationale de Politique criminelle, n° 20, decembre 1962, Nations - Unies.

التصنيع وطبيعة البنية الاجتماعية بما تشمتل عليه من خصائص التفاوت ونوعية الحراك الاجتماعي التي توفره للمنتمين اليها والأصل الجغرافي للسكان ونوعية الأجهزة الردعية للجريمة المتواجدة فيها.

وعلى كل حال فمن الضروري ان نضع العلاقة بين المدينة والاجرام في سياقها التاريخي ولا شك ان عملية التصنيع في اوروبا في القرن التاسع عشر قد اصطحبت بعملية تفقير شديدة خاصة عند طبقة الشغيلة ونتج عن ذلك ارتفاع مهول للجريمة[1] ذلك ان عملية التصنيع تحققت في مناخ اجتماعي اتسم بانحلال في نظم التضامن الاجتماعي واشتداد حدة النزاع الطبقي.

اما الاتجاه الايكولوجي الممثل في مدرسة شيكاقو يمثله مثلا Clifford R. Shaw's.

فهو يعتبر المدينة كمولد لفضاء مرفلوجي واجتماعي واقتصادي وثقافي له خصائصه الضاغطة على الفرد والتي من شأنها ان تفرز السلوك الاجرامي.

ومن أهم الخصائص لهذا الفضاء تفاوت الفرص التي يوفرها هذا الفضاء لافراد المجتمع للتحصل على اهداف ذات قيمة اجتماعية فهو يركز على هذه القيم الاستهلاكية ولا يركز على الوسائل لاقتنائها والمشاركة فيها ومن اهم الوسائل للمشاركة **الموارد الاقتصادية** فهنا الفقر في تصوره الاقتصادي يصبح عائقا للاندماج في الثقافة المهنية المعيارية فيؤدي الى سلوك لا معياري بالنسبة لنظام القيم المهيمن وسرعان ما ينقلب الى مركز معياري قائم بذاته وتؤكد هنا مدرسة شيكاقو على هذه الالية المؤدية للاجرام والتي تجعل الفضاء الحضري مولدا حتما للاجرام نتيجة لخصائصه ففي المدينة الواحدة هنالك احياء

---

١ - Louis Chevalier : Classes laborieuses, classes dangereuses.

يصبح فيها السلوك الاجرامي هو البديل الوحيد للفرد حتى يندمج في المجموعة وقد طبقت هذه النظرية خاصة على احياء المهاجرين الفقراء في المدن الامريكية وصاغ Ohlin لها مفهوم المناطق الانحرافية في المدينة delinquency areas وربط ذلك باعتبار ديمغرافي هو **المجموعة المنتمية لجيل واحد** والتي يمكن ان تتوفر فيها الشروط لظهور السلوك اللامعياري.

ويشترك المجتمع العربي وبلدان العالم الثالث في هذه الظاهرة إذ أن الاجرام فيها مديني ايضا ولكن لا يخلو ذلك من اشكال.

فهناك تصور يرى ان المدينة العربية في جوهرها لا تنفصل عن الريف فهناك حركة متواصلة بين المدينة والريف واهل الحضر مأتاهم من الريف فالمدينة العربية تستوعب أهل الريف وتتعامل معهم ونظرية ابن خلدون في الحكم تعتبر الريف مصدرا للسلطة لان المجتمع فيها يتميز بالعصبية والصلابة المؤدية الى تبوء السلطة في المدينة.

هذا النمط المتوازن يصيبه التشويه في واقعنا العربي الحاضر فالعملية الحضرية تعرف انفجارا عشوائيا نتيجة للنزوح وتدفق اهل الريف اليها وتتحول اليها فتتحول المدن الى قرى عملاقة.

وبناء على أن العملية الحضرية تتحقق في المجتمع العربي بدون تصنيع الشرط الاساسي للنمو العمراني المعاصر، فان النازحين اليها لا يمكن اعتبارهم محضرين وسلوكهم الاجرامي يصبح مؤشرا لانعدام اندماجهم في المدينة اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وحينئذفليست المدينة هي المولدة اصلا للجريمة بل المدينة المشوهة التي يعرف فيها النازحون عملية التفقير.

هذا التطور يؤدي الى اعتبار الاجرام ظاهرة ريفية خاصة اذا ما اعتمد على الاصل الجغرافي للمجرم الذي يكون غالبا نازحا[1] ولكن ذلك لا ينفي ان معظم الاجرام يتحقق في المدينة (انظر جدول عدد ١أ) ومن هنا وجب تحليل خصائصها كأسلوب انتاج وكبنية اقتصادية تحتوي الفرد **واهم من ذلك لا بد من ربط ذلك بالاجيال**، اذ اننا في تونس نعرف الان الجيل الثاني من النازحين والاجرام في المدينة اصبح يحتاج الى نظرة تحليلية جديدة مغايرة لما عرفه المجتمع التونسي في الستينات.

ونظرا لتواصل عملية النزوح وتواجد ذلك مع الجيل الثاني للنازحين فلا بد ان نميز بين هذين النوعين من الاجرام لانهما يمثلان نوعين من التعامل مع المدينة بما فيها من امكانات التفقير او الاثراء السريع.

واذا ما تأملنا في جدول (عدد ٢أ) الذي يعطينا سلما تدريجيا في اهمية القضايا المسجلة في ما بين ١٩٧٦ و ١٩٨٠ مع ربطها بالوسط الجغرافي من ناحية والجنس والسن من ناحية اخرى، فاننا في ما يخص قضايا المرتبة الثانية نجد السرقات الموصوفة في المدينة والريف عندالذكور، وفي المدينة والريف عند الاحداث ولكنها عند الاناث في الارياف وتأتي السرقات الموصوفة في المرتبة الرابعة ويعوضها في المرتبة الثانية قتل مولود.

ومن هذا نستنتج بعض الملاحظات:

١ - ان المرأة في المدينة اقرب للسرقة من المرأة في الريف اذ تجربة العيش في المدينة تشتمل على المغريات والحرمان

---

١ - A. BOUHDIBA: Criminalite it changements sociaux in Tunisie (1965), Quelques aspects de la delinquance juvenile in Tunisie (1965).

المؤديين الى السرقة بينما المرأة في الريف ما زالت تصطدم بالمراقبة الاجتماعية الشديدة المحافظة.

٢ - هذا الجدول لا يعطي لنا معلومات كمية عن الفروق بين المدينة والريف ولكننا نعلم ان نسبة الاجرام في المدينة اقوى من الريف والولايات الاكثر تحضرا هي التي تولد أكثر نسبة من الداخلين للسجون.

ففي ١٩٨٠ يتوزع عدد الداخلين كما يلي

تونس ٧٧٧٩ اي ٥ر٢٤٪ من جملة الداخلين

سوسة ٤٦٤٤ اي ٥ر٨٪ من جملة الداخلين

بنزرت ٢٢٣١ اي ٧٪ من جملة الداخلين

القيروان ١٩٤٣ اي ٦٪ من جملة الداخلين

نابل ١٨٩٨ اي ٦٪ من جملة الداخلين

ولكن ما يسترعي الانتباه هو انعدام الفرق في نوعية الاجرام فيما يخص السرقة الموصوفة بين فئة الذكور وبين فئة الاحداث بقطع النظر عن الوسط الجغرافي. هنا لابد من التنبيه الى ان معظم المجرمين في تونس من الشباب وهذا يعني ان التميز بين المجرمين «الكهول» وبين المجرمين الاحداث هو تميز قانوني أكثر منه اجتماعي.

والاحصائيات تفيد ان اغلب المساجين في سنة ١٩٨٠ تتراوح اعمارهم بين ٢١ و ٣٠ سنة فادا ما اعتبرنا الفئة ما بين ١٦ و ٣٠ سنة فاننا نتحصل على نسبة ٦٢٪ من المساجين اي ما يقارب الثلثين.

فالمدينة بحكم اسلوب انتاجها وقيمها الاستهلاكية واعلامها المثير ذي الخطاب المزدوج الذي يربي من ناحية ويثير الحاجيات من ناحية اخرى تشكل مناخا ملائما للسلوك الانحرافي للنساء من ناحية وللشباب من ناحية اخرى وفي كلتا الحالتين يتعرض الفرد الى التغير

الاجتماعي المولد للانفتات وانحلال القيم والتذبذب في السلوك والتوتر في الشخصية المولد للاجرام.

فالمدينة باسلوب انتاجها الضعيف المتسبب في البطالة وبطغيان السوق عليها تولد حاجيات لا يمكن للفرد الوفاء بها واختلال التوازن بين الوسيلة ونبل الغاية نتيجة لضعف الموارد الاقتصادية هو السبب في اختلال السلوك الفردي.

ويمكن ان نوجز ذلك في العناصر التالية:

- المدينة لا تولّد بالضرورة الفقر بقدر ما تولّد الشعور بالفقر.
- المدينة تعرف حالة آنومية أي الاختلال في نظام القيم وضعف الرابطة الاجتماعية والدينية.
- المدينة تعرف انحلال الاشكال الاجتماعية التقليدية كنظام القرابة وتضعف الشعور بالانتماء المؤدي الى توليد اشكال اجتماعية ذات نزعة انحرافية.
- المدينة تولد حالة اللاهوية التي من شأنها تسهيل السلوك الانحرافي لانعدام الرقابة الاجتماعية.
- المدينة يسود فيها السوق وقانون العرض والطلب وهو يخضع الانسان الى قانون البضاعة ويسخر القيم الانسانية الى قيم تجارية.
- المدينة ترسل للفرد خطابا مزدوجا متناقضا تتصارعه قوى السوق الخاضعة للمال وقوى الاخلاق وتعطي الحظوة للاولى على حساب الثانية[1].

ولذلك من اهم الجنح في المدينة السرقة لاكتساب المال والبغاء اي التجارة بالجسم وكل منها يصب في السوق وفي كلتا الحالتين تطغى القيم الاستهلاكية.

---

١ - انظر نظرية الخطاب المزدوج Paul Watzlawick

وقد اعتمدنا على دراستين حديثتين لاعطاء امثلة حية للبحث ودراسة حول الجانحات[1] ودراسة حول الجانحين الاحداث[2].

وقد بينت الدراسة حول الجانحات المسجونات في اصلاحية تونس النتائج التالية :

١ – الطابع المدني للجانحات ٥٨٪ من تونس.
٢ – انتماؤهن الى الاحياء الفقيرة في تونس العاصمة.
٣ – انتماؤهن الى الجيل المديني بنسبة ٥ر٤٤٪.
٤ – انتماؤهن الى عائلات فقيرة (أب متوفى بنسبة ٥ر٣٠٪).
٥ – استغلالهن بمهن ذات دخل محدود أو انعدام الشغل (٥ر٦٢٪ من دون شغل).
٦ – طغيان الجنحة الجنسية.

أما الدراسة حول الاحداث فقد اظهرت:
١ – أهمية السرقات في مشمول الجنح (٩٦ر٦٨٪).
٢ – دور الحي الفقير في تكوين جماعات المنحرفين (٧٨٪).
٣ – تواجد النازحين (٦٩٪) والمدنيين الأصليين (٣١٪).
٤ – انتماء الاحداث الى احياء فقيرة.
٥ – انتماؤهم لعائلات ضعيفة اقتصاديا ٨ر٥١٪ منهم آباؤهم عاملون يوميون.

---

١ – Souad Laroussi ZAHAR : Les dimensions psychosociales de la criminalite feminine in Tunisie.

٢ – سامية شبشوب = انحراف احداث = بحيث ميداني بمركز العمل التربوي بقمرت (١٩٨٢).

(عدد ١ أ)

جدول عددي للقضايا المسجلة لدى كافة وحدات الشرطة والحرس الوطني

قضايا	٧٦		٧٧		٧٨		٧٩		٨٠	
	شرطة	حرس	شرطة	حرس	شرطة	حرس	شرطة	حرس	شرطة	حرس
السرقات المسجلة	١٢٤٠	٣٩	١٣٨٧	٧٩	١٩٢٠	٣٣٩	٢١٧٨	٢٤١	٢٣٥٠	١٥١
القتل العمد	٩٥	١٦	٧٣	٢١	٦٧	٣٠	٦٩	٢١	٥٢	٢١
الاعتداء بالعنف النتاج عنه الموت	٤٣	٨	٣٢	٥	٢٠	٦	٢٢	٧	٣٠	١١
محاولة قتل	٣٥	١١	٣١	١٣	٤٦	١٦	٥٤	١٦	٤٨	٢١
قتل مولود	٤٥	٢٨	٨٣	١٨	٣٦	٢١	٤٧	١٩	٤٨	٣٠
الاغتصاب	٤٨٨	٥٩	٤٥٨	٦٣	٥٠٧	٨٨	٥٠٣	١٠٥	٥٨٢	٩٣
الاعتداء بالعنف	١٤٢٣٦	٧٦١٨	١٤٩٠٢	٨٠٩٩	١٣٨١٦	٨١٥٣	١٤٢٩٨	٨٥٣٩	٢٩٤٣	٩٠٩١
الفرار بقاصرة	١١	٢	٥٠	١٤	٦٧	–	–	٦٥	٨	٨٠

(عدد ٢ أ) الاعتداء بالعنف والسرقات الموصوفة والاغتصاب باقية في طليعة الجرائم، وهذا ما يمكن ملاحظته في الجدول التالي

جرائم الذكور		جرائم الاناث		جرائم الاحداث	
في المدن	في الارياف	في المدن	في الارياف	في المدن	في الارياف
الاعتداء بالعنف	الاعتداء بالعنف	الاعتداء بالعنف	الاعتداء بالعنف	الاعتداء بالعنف	الاعتداء بالعنف
السرقات الموصوفة	السرقات الموصوفة	السرقات الموصوفة	قتل مولود	السرقات الموصوفة	السرقات الموصوفة
الاغتصاب	الاغتصاب	قتل مولود	الفرار بقاصرة	الاغتصاب	الاغتصاب
العنف الناتج عنه موت	الفرار بقاصرة	القتل العمد	السرقات الموصوفة	القتل العمد	الفرار بقاصرة
القتل العمد	محاولة القتل	العنف الناتج عنه موت	محاولة القتل	قتل مولود	قتل مولود
محاولة القتل	القتل العمد	محاولة القتل		العنف الناتج عنه موت	القتل العمد
قتل مولود	العنف الناتج عنه موت	الفرار بقاصرة		محاولة القتل	العنف الناتج عنه الموت
الفرار بقاصرة	قتل مولود			الفرار بقاصرة	محاولة القتل

عدد ١ **توزيع الجانحات حسب مكان السكنى ١٩٨٠**

مكان السكنى	المدينة	الريف	المجموع	النسبة المئوية
تونس	١١٦		١١٦	٥٨ر٠
نابل	٨	٩	١٧	٨ر٥
القيروان	–	٥	٥	٢ر٥
جندوبة	–	١٠	١٠	٥ر٠
الكاف	١	٢	٣	١ر٥
بنزرت	٨	٤	١٢	٦ر٠
سوسة	٣	٤	٧	٣ر٥
زغوان	–	١٠	١٠	٥ر٠
قابس	٢	١	٣	١ر٥
منستير	–	١	١	٠ر٥
قصرين	–	٤	٤	٢ر٠
صفاقص	٢	١	٣	١ر٥
المهدية	–	١	١	٠ر٥
سيدي بوزيد	–	٢	٢	١ر٠
باجة	–	٣	٣	١ر٥
قفصة	–	١	١	٠ر٥
١٤٠ = ٧٠٪		٦٠=٣٠٪	٢٠٠=١٠٠٪	

عدد ٢ **التوزيع الجغرافي للجانحات في العاصمة**

المنطقة	العدد	النسبة المئوية في تونس العاصمة	النسبة المئوية بالنسبة لمجموع الجانحات في العينة
المدينة العتيقة	١٨	١٥ر٥	٩ر٠
المدنية العصرية	٦	٥ر١	٣ر٠
الضاحية الشمالية	١٤	١٢ر١	٧
الضاحية الجنوبية	٨	٦ر٩	٤ر٠
تونس الشمالية	١٨	١٥ر٥	٩ر٠
تونس الجنوبية	٩	٧ر٨	٤ر٥
الاحياء الشعبية الجديدة	١٤	١٢ر١	٧ر٠
الاحياء القصدرية	٢٩	٢٥ر٠	١٤ر٥
	١١٦	١٠٠	٥٨٪

عدد ٣ توزيع الجانحات حسب مكان الولادة ١٩٨٠

مكان الولادة	العدد	النسبة
تونس	٨٩	٤٤ر٥
بنزرت	١٤	٧ر٠
جندوبة	١٣	٦ر٥
نابل	١٢	٦ر٠
زغوان	١١	٥ر٥
القيروان	١٠	٥ر٠
باجة	١٠	٥ر٠
الكاف	٦	٣ر٠
القصرين	٦	٣ر٠
سليانة	٥	٢ر٥
سوسة	٤	٢ر٠
صفاقس	٤	٢ر٠
المهدية	٣	١ر٥
قابس	٣	١ر٥
مونستير	٢	١ر٠
سيدي بوزيد	٢	١ر٠
مدنين	٢	١ر٠
قفصة	١	٠ر٥
أجانب	٣	١ر٥
	٢٠٠	١٠٠

عدد ٤

توزيع الجانحات حسب مهنة الأب ١٩٨٠

مهنة الأب	العدد	النسبة المئوية
متوفي	٦١	٣٠ر٥
متقاعد	٣٢	١٦ر٠
فلاح صغير أو عامل فلاحي	١٨	٩ر٠
تاجر	١١	٥ر٥
حرفي	٨	٤ر٠
موظف بلدي	١٠	٥ر٠
موظف	٣	١ر٥
عامل في الصناعة	٦	٣ر٠
معلم	١	٠ر٥
موظف صغير	٧	٣ر٥
عامل يومي	٢٥	١٢ر٥
مهاجر	٦	٣ر٠
موارد ريعية	٣	١ر٥
من دون شغل	٩	٤ر٥
	٢٠٠	١٠٠

عدد ٥

توزيع الجانحات حسب المهنة ١٩٨٠

المهنة	العدد	النسبة
من دون شغل	١٢٥	٦٢ر٥
مساعدة منزلية	٣٤	١٧ر٠
عاملة في الصناعة	٢٦	١٣ر٠
حلاقة	٧	٣ر٥
منظفة للغرف	٤	٢ر٠
راقصة	١	٠ر٥
ممرضة	١	٠ر٥
موظفة	٢	١ر٠
	٢٠٠	١٠٠

توزيـــع الجانحـــات حســـب المهنـــة ونوعيتهـــا

المهنـــة	نوعيـــة الجنحـــة							
	جنسية	السرقة	القتل	العنف	الاحتيال صك بدون رصيد	السكر	المخدرات	متفرقات	
بدون مهنة	٤٤ر٠	٢٢ر٠	١٨ر٤	٨ر٠	١ر٦	١ر٦	١ر٦	٢ر٤	١٠٠
مساعدة منزلية	٦١ر٨	١٤ر٧	١١ر٨	٨ر٨	–	٢ر٩	–	–	١٠٠
عاملة صناعة	٨٠ر٨	١١ر٥	٧ر٧	–	–	–	–	–	١٠٠
حلاقة	٥٧ر١	١٤ر٣	١٤ر٣	–	١٤ر٣	–	–	–	١٠٠
منظفة غرف	٧٥ر٠	٢٥ر٠	–	–	–	–	–	–	١٠٠
راقصة	١٠٠	–	–	–	–	–	–	–	١٠٠
ممرضة	–	–	–	–	١٠٠	–	–	–	١٠٠
موظفة	٥٠	–	–	–	٥٠	–	–	–	١٠٠

عدد ٧ الاحداث المنحرفون تصنيف المخالفات حسب نوعيتها

	العدد	النسبة المئوية
سرقة	٦٠	٦٨ر٩٦
التشرد	١٠	١١ر٤٩
الاعتداء بالعنف	٤	٤ر٥٩
اللواط	٤	٤ر٥٩
الاضرار بملك الغير	٤	٤ر٥٩
القتل	٣	٣ر٤٤
الاعتداء بالفاحشة على انثى	٢	٢ر٢٩

عدد ٨ نوعية العلاقة التي تربط بين الاحداث والمنحرفين ١٩٨٠

	العدد	النسبة المئوية
افراد من نفس الحي	٣٩	٧٨
الاطفال من الاقارب	٧	١٤
الاطفال من زملاء الدراسة	٢	٤
الاطفال من زملاء العمل	١	٢
	٤٩	٪٩٨

عدد ٩ الاصل الجغرافي للاحداث الجانحين

	العدد	النسبة المئوية
النازحون	٦٠	٦٩
الاصليون	٢٧	٣١
	٨٧	٪١٠٠

عدد ١٠ **مكان اقامة الافراد المنحرفين**

	العدد	النسبة المئوية
حي شعبي	٤٨	٥٥ر١
حي عصري	١١	١٢ر٦
الارياف	١١	١٢ر٦
الوكالات[١]	٩	١٠ر٣
حي قديم	٨	٩ر١
المجموع	٨٧	١٠٠

(عدد ١١) **الأحداث المنحرفون حسب مهنة الأب**

	العدد	النسبة المئوية
عامل يومي	٢٨	٥١ر٨٠
عامل بالقطاع الصناعي والحرفي	١١	٢٠ر٣
سياقة شاحنات وسيارات أجرة	٤	٧ر٤
تاجر	٢	٣ر٥
حارس	٣	٥ر٥٢
منظف بادارة	٣	٥ر٥٢
قطاع خاص	٢	٣ر٥
موظف	١	١ر٨
المجموع	٥٤	١٠٠٪

١ – مساكن قديمة في المدينة العتيقة يسكن فيها متجاورين عدد من العائلات.